# ترصد عيوب الناس من أسوأ العيوب

قال الله تعالى: " يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ " [النحل:111] .

وعَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ قَالَ: "وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بأمرٍ ليس هو فيك، فلا تُعيِّرْه بأمرٍ هو فيه، ودَعْه يكونُ وبالُه عليه، وأجرُه لك، ولا تَسُبَّنَّ أحدًا" حديث صحيح ، صحيح الجامع 98

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يُبْصِرُ أحدُكم القذَى في عينِ أخيهِ، ويَنْسَى الْجِذْعَ في عينِهِ" حديث صحيح ، صحيح الجامع 8013

وروى الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : صعِدَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وسلَّمَ المنبَرَ فَنادى بصَوتٍ رفيعٍ : ( يا معشرَ من أسلمَ بلسانِهِ ولم يُفضِ الإيمانُ إلى قلبِهِ ، لا تُؤذوا المسلِمينَ ولا تعيِّروهُم ولا تتَّبعوا عَوراتِهِم ، فإنَّهُ مَن يتبَّعَ عورةَ أخيهِ المسلِمِ تتبَّعَ اللَّهُ عَورتَهُ ، ومَن يتبَّعَ اللَّهُ عَورتَهُ يفضَحهُ ولو في جَوفِ رحلِهِ ) قالَ : ونظرَ ابنُ عمرَ يومًا إلى البيتِ أو إلى الكَعبةِ فقالَ: ما أعظمَكِ وأعظمَ حُرمتَكِ والمؤمِنُ أعظمُ حرمةً عندَ اللَّهِ منكِ. ذكره في الصحيح المسند، الوادعي في الصحيح المسند730 وأخرجه الترمذي (2032) واللفظ له، وابن حبان (5763)، وأبو الشيخ في ((التوبيخ والتنبيه)) (93).

قال في "تحفة الأحوذي" :"(وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ) مِنْ التَّعْيِيرِ وَهُوَ التَّوْبِيخُ وَالتَّعْيِيبُ عَلَى ذَنْبٍ سَبَقَ لَهُمْ مِنْ قَدِيمِ الْعَهْدِ , سَوَاءٌ عُلِمَ تَوْبَتُهُمْ مِنْهُ أَمْ لَا " انتهى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قال الرجلُ: هلك الناسُ فهو أهلَكُهم" حديث صحيح رواه ابو داود

وأخرجه مسلم (2623)

قال النووي رحمه الله :"اتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ هَذَا الذَّمّ إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ قَالَهُ عَلَى سَبِيل الْإِزْرَاء عَلَى النَّاس وَاحْتِقَارهمْ, وَتَفْضِيل نَفْسه عَلَيْهِمْ , وَتَقْبِيح أَحْوَالهمْ ... وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : مَعْنَاهُ لَا يَزَال الرَّجُل يَعِيب النَّاس, وَيَذْكُر مَسَاوِيَهُمْ, وَيَقُول: فَسَدَ النَّاس وَهَلَكُوا, وَنَحْو ذَلِكَ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ أَيْ أَسْوَأ حَالًا مِنْهُمْ بِمَا يَلْحَقهُ مِنْ الْإِثْم فِي عَيْبهمْ, وَالْوَقِيعَة فِيهِمْ , وَرُبَّمَا أَدَّاهُ ذَلِكَ إِلَى الْعُجْب بِنَفْسِهِ , وَرُؤْيَته أَنَّهُ خَيْر مِنْهُمْ" انتهى

وقال ابن عبد البر رحمه الله : وأما إذا قال ذلك تأسفا وتحزنا وخوفا عليهم لقبح ما يرى من أعمالهم فليس ممن عني بهذا الحديث "التمهيد" (21/242) .

# ومن آثار السلف الصالح رحمهم الله في ذم ترصد عيوب الآخرين

\* وعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ , قَالَ : " عَجِبْتُ مِنَ الرَّجُلِ يَفِرُّ مِنَ الْقَدَرِ , وَهُوَ مُوَاقِعُهُ ، وَيَرَى الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ , وَيَدَعُ الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ ، وَيُخْرِجُ الضَّغْنَ مِنْ نَفْسِ أَخِيهِ , وَيَدَعُ الضَّغْنَ فِي نَفْسِهِ ، وَمَا وَضَعْتُ سِرِّي عِنْدَ أَحَدٍ فَلُمْتُهُ عَلَى إِفْشَائِهِ ، وَكَيْفَ أَلُومُهُ وَقَدْ ضِقْتُ بِهِ ذَرْعًا ؟ ! إسناده صحيح ، صحيح الأدب المفرد 681

\* وعن مالكٍ بلغه : أنَّ عيسى عليه السلامُ كان يقولُ : لا تُكثِروا الكلامَ بغير ذكرِ اللهِ فتقْسو قلوبُكم ؛ فإنَّ القلبَ القاسيَ بعيدٌ من اللهِ ولكن لا تعلمون، ولا تنظُروا في ذنوبِ الناسِ كأنكم أربابٌ، وانظروا في ذنوبِكم كأنكم عبيدٌ، فإنما الناس مُبتَلًى ومُعافًى، فارحَموا أهلَ البلاءِ، واحمَدوا اللهَ على العافيةِ ( ضعيف الترغيب 1719 )

\* وسئل أبو حازم ما شكر العينين؟ قال : إذا رأيت بهما خيرا أذعته.. و إذا رأيت بهما شرا سترته، وسئل ما شكر الأذنين؟ فقال : إذا سمعت بهما خيرا حفظته..و إذا سمعت بهما شرا نسيته.

\* قَالَ شَقِيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : " اسْتِتْمَامُ صَلَاحِ عَمَلِ الْعَبْدِ بِسِتِّ خِصَالٍ : تَضَرُّعٌ دَائِمٌ وَخَوْفٌ مِنْ وَعِيدِهِ ، وَالثَّانِي حُسْنُ ظَنِّهِ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَالثَّالِثُ اشْتِغَالُهُ بِعَيْبِهِ لَا يَتَفَرَّغُ لِعُيُوبِ النَّاسِ ، وَالرَّابِعُ يَسْتُرُ عَلَى أَخِيهِ عَيْبَهُ وَلَا يُفْشِي فِي النَّاسِ عَيْبَهُ رَجَاءَ رُجُوعِهِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، وَاسْتِصْلَاحِ مَا أَفْسَدَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَالْخَامِسُ مَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ خِسَّةِ عَمَلِهَا اسْتَعْظَمَهَا رَجَاءَ أَنْ يَرْغَبَ فِي الِاسْتِزَادَةِ مِنْهَا ، وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ عِنْدَهُ مُصِيبًا " حلية الأولياء (8/ 66).

\* قال أَبُو حاتم رَضِيَ اللَّه عنه الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عَن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عَن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عَلَيْهِ مَا يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عَن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه وتعذر عَلَيْهِ ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه، من عاب الناس عابوه .

\* قال سفيان بن حسين: ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية، فنظر في وجهي، وقال أغزوت الروم؟ قلت: لا، قال: فالسند والهند والترك؟ قلت: لا، قال: أفتسلم منك الروم والسند والهند والترك، ولم يسلم منك أخوك المسلم؟! قال: فلم أعد بعدها. ( البداية والنهاية لابن كثير) 13/121

\* قال يحي بن معاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه" جامع العلوم والحكم 283 / 2

\* قال بكر بن عبد الله: إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب النَّاس، ناسياً لعيبه، فاعلموا أنَّه قدُمِكَر به. صفة الصفوة 3/249

\* وعن الإمام أحمد قال :"ما رأيت أحدا تكلم في الناس وعابهم إلا سقط"

\* قال السخاوي: وقد روينا عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس - رحمه الله - أنه قال: أدركت بهذه البلدة - يعني المدينة - أقواماً لم تكن لهم عيوب، فعابوا الناس؛ فصارت لهم عيوب، وأدركت بها أقواماً كانت لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس؛ فنُسيت عيوبهم ...

\* وقال الحسن :يا ابن آدم لن تنال حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وتبدأ بذلك العيب من نفسك فتصلحه، فما تصلح عيبا إلا ترى عيبا آخر فيكون شغلك في خاصة نفسك .

\* وقيل لربيع بن خيثم : ما نراك تعيب أحدا ولا تذمه فقال : ما أنا على نفسي براض فأتفرغ من عيبها إلى غيرها.

\* قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف : اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام .

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا \*\*\* فيهتك الله سترا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكـروا \*\*\* ولا تعـب أحـداً منهم بما فيكا

\* قال سعيد بن المسيب رحمه الله:" ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ٬ ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبه- يعني بالتنقص والازدراء، أو بذكرها كلما ذُكِر إلا في موضعها- ٬فمن كان فضله أكثر من نقصه وُهب نقصه لفضله .

\* يؤثر من كلام ذي النون - رحمه الله - قوله: «مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَمِيَ عَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ».

\* وعنه أيضا قال: «ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ أَعْمَالِ الْكِيَاسَةِ: تَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْعَمَلِ بِيَسِيرِ الْعِلْمِ، وَالِاشْتِغَالُ بِإِصْلَاحِ عُيُوبِ النَّفْسِ غَافِلًا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ».

\*وقول الحسن رحمه الله حينما سمع أحدا يسب الحجاج بعد وفاته، فأقبل مغضباً وقال: يا ابن أخي قد مضى الحجاج إلى ربه، و إنك حين تقدم على الله ستجد إن أحقر ذنبٍ ارتكبته في الدنيا أشد على نفسك من أعظم ذنبٍ اجترحه الحجاج، ولكل منكما يومئذٍ شأن يغنيه، واعلم يا ابن أخي أن الله عز وجل سوف يقتص من الحجاج لمن ظلمهم، كما سيقتص للحجاج ممن ظلموه، فلا تشغلن نفسك بعد اليوم بسب أحد . ذكره أبو نعيم في الحلية (2/271) .ويروى ذلك عن ابن سيرين ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء والبيهقي وابن أبي الدنيا والخطيب.

قال الشافعي رحمه الله:

وعينُ الرِّضا عن كلَّ عيبٍ كليلة ٌ وَلَكِنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْدي المَسَاوِيَا

وَلَسْتُ بَهَيَّابٍ لمنْ لا يَهابُنِي ولستُ أرى للمرءِ ما لا يرى ليا

فإن تدنُ مني، تدنُ منكَ مودتي وأن تنأ عني، تلقني عنكَ نائيا

كِلاَنا غَنِيٌّ عَنْ أخِيه حَيَاتَه وَنَحْنُ إذَا مِتْنَا أشَدُّ تَغَانِيَا

وقيل :

قبيح من الإنسان أن ينسى عيوبه ويذكر عيبا في أخيه قد اختفى

ولو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو رآها قد اكتفى

وقال الشَّاعر:

إذا أنت عِبْتَ النَّاس عابوا وأكثروا عليك وأبدوا منك ما كان يُسْتَرُ

وقد قال في بعض الأقاويل قائل له منطق فيه لسان محبر

إذا ما ذكرتَ النَّاسَ فاتركْ عيوبَهم فلا عيبَ إلا دون ما فيك يُذْكَرُ

فإن عِبْتَ قومًا بالذي ليس فيهم فذاك عندَ الله والنَّاسِ أكبرُ

وإن عِبْتَ قومًا بالذي فيك مثله فكيف يَعِيب العُورَ من هو أعورُ

وكيف يعيب الناس من عيب نفسه أشد إذا عد العيوب وأنكر

متى تلتمس للناس عيبا تجد لهم عيوبا ولكن الذي فيك أكثر ...

قول الحسن رحمه الله حينما سمع أحدا يسب الحجاج بعد وفاته ، فأقبل مغضباً و قال : يا ابن أخي قد مضى الحجاج إلى ربه ، و إنك حين تقدم على الله ستجد إن أحقر ذنبٍ ارتكبته في الدنيا أشد على نفسك من أعظم ذنبٍ اجترحه الحجاج ، و لكل منكما يومئذٍ شأن يغنيه ، واعلم يا ابن أخي أن الله عز وجل سوف يقتص من الحجاج لمن ظلمهم ، كما سيقتص للحجاج ممن ظلموه فلا تشغلن نفسك بعد اليوم بسب أحد . ذكره أبو نعيم في الحلية (2/271) .ويروى ذلك عن ابن سيرين ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء والبيهقي وابن أبي الدنيا والخطيب.